الإلـــــــه

للأستاذ محمد جاد كشك
واعظ مركز قليوب

« وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم » صدق الله العظيم

دواؤك فيك ولا تشعر ... ودواؤك منك ولا تبصر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

دعانى للكتابة فى وجود الإله الخالق المريد — الذى ملأت قدرته الكائنات ما نبصر ومالا نبصر ، وما وصل إليه العلم وما لم يصل — ماقرأته فى الصحف من أن راديو الشيوعيين أذاع على لسان مذيعيه « أن الإله غير موجود ، وأنه لا يستطيع إثبات وجوده بأى حادثة !! » .

ولا أدرى هل هذه الإذاعات بلغت من الجهالة إلى حد إنكار تلك البديهية التى هى وجود بارىء الأكوان التى قد أجمع عليها العقل البشرى منذ كان ، وبشرت بها الأنبياء والمرسلون والفلاسفة من عباقرة الإنسان فى قديم الاحقاب ، ولم تكن هذه المعرفة وليدة صدفة أو صرفة ، وإنما هى وليدة تفكير وتجربة ابتدأت بالاستقراء العقلى استقراء متواصلا ، ومن جهات وبلاد مختلفة اختلاف الأقاليم واللغات وطرق المعرفة ، حتى خلصت البشرية إلى أن للعالم بارئا سيطر قهره ونفذت قدرته فى أغواره ، مما تجلى للحواس عن طريق تركيب المشاهدة وأختراع صور فرضية يسعى وراءها ، قد تنتج المطلوب وقد تفشل ، فتبتدىء البحث على طريقة ترى ملاءمتها لإنتاج مطلوبها ، ولا يزال العقل مع تطوره وبلوغه حدا كبيرا فى احداث تغييرات هامة كان يراها العقل أولا شيئا هو كالمستحيل ، ولكن مداومة تنقيبه وسعيه وراء كشف جوهر هذا الكون لايزال ولن يزال هو فى كل طريق ينجح أو يفشل إنما يخر ساجدا مذعنا لوجود

قوة جارفة هائلة تشحذ هذا الكون بحياة تتناسب مع عوالمه ، فالشمس التى أحاطها علماء « الميكانيكا » بالبحث عن جرمها ومادته وضوئها الأبيض الذى حلل إلى جميع الألوان أصلبها ومزيجها وحتى الآلات التى حللت هذا الضوء ، إنما استلهموا تكوينها من الطبيعة نفسها ، فقطرة من الماء انبثقت أمام أحد العلماء فرآها تتلون بألوان مختلفة تحت ضوء الشمس الأبيض ، وفى يوم غائم ظهر قوس قزح يحمل هذه الألوان فى دائرة رشيقة ، فأخذ يصنع آلاته ومناظيره « ميكروسكوباته » على هذا الوضع الفطرى الذى رآه فى الماء والقوس .

ثم أخذ يعمل ويخترع الأجهزة ليكشف عن ألوان وخواص لهذا الضوء فاكتشف كثيرا وكثيراً جداً ، ولكن عجزه لازال قائما عن مدى تكوين هذا الضوء ومنبعه ، وكيف اندمجت هذه الألوان ومدى تأثيرها فى الحياة إلا قليلا مما أتيح للعقل والتجربة ، ثم هو لا زال فى مبدأ بحثه على بعد سيره وتقدمه فى نظر من قبله .

وهذا جماد تحسبه جامداً وهو يسير وتتحرك جزئياته سلبا وإيجابا ، وهذا نبات يعتصر غذاءه من الأرض حسب تكوينه وما قدر له من غذاء يحييه ويقومه ويحفظ امتداد نوعه ، وهذا حيوان ينمو بخلاياه التى هى خلايا النبات فى هندستها وكثير من حركتها ، إلا أنها ركبت تنمو وتتحرك بشىء معنوى جاش العقل على ركبتيه ذليلا حائراً ، ثم قام متهافتا ليركب متون المعرفة ويركض وراء استكناه هذا السر الذى جعل هذه الجزئيات حركة وتفكيراً ، ثم انقلب صارخا الله .: الله ، ثم هو .... هو الإنسان الذى قد يتخذ من هذا الجهل جحودا ومن عدم الوصول إلى غرض لهذه الحقائق التى هى فيه والتى هو بعضها ، ولذلك وجد أن يتأمل فى نفسه بعد أن يتأمل فيما يحيط به .

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

« من عرف نفسه فقد عرف ربه »

ولذلك انعكست هذه الصورة واضحة فى آراء المنصفين ، فيقول دكتور « يوستاس تشر » الاسكتلندى (لقد كشف البحث عن الضرورة اللازمة للحياة وهى الدفء ويعتقد بعض الناس أن ارتفاع درجة الحرارة ساعدت على تفاعلات

كيمائية معقدة ،أعانت الحياة على الخروج من العادة الميتة : — ولقد عكف منذ سنوات على محاولة صنع الملابسات والحصول على نفس النتائج بطريقة صناعية ولكنهم حتى الآن لم يستطيعوا النجاح فى خلق الحياة ، حتى فى أبسط صورها وهم قد ينجحون . . ؟ ولا أدرى ولا مفر من أن نذكر اسم الله على تلك القدرة المشيئية ..

ولقد مر « العالم » بأشياء ذرية وخلايات وعناصر وكان يسأل نفسه هذا السؤال ثم يهتف باسم الله ، ولقد امتد هذا البحث فى الأكوان كما قلنا واشتهر به جماعة من أئمة الفلاسفة المسلمين الذين أرجعوا البصر كرتين فانقلب البصر خاسئاً وهو حسير ، ومن خوارق الأمور ومعجزاتها أن يتصدى القرآن للرد على هؤلاء ..؟ فهو يرد على منكرى الإله ، الذين قالوا : « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بقوله : أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » .

ثم يتحدى ولا يزال تحديه قائماً لأولئك الذين حاولوا إخضاع البيئات لإيجاد الحياة بقوله :

«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»

فإذا وجد فى عصرنا من أذاعوا الإلحاد فى إطار مبادىء أقنعوا أنفسهم أو لم يقنعوا بأن وجود الإله أسطورة ووجود الأديان خرافة فهم لا يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون .